مقاومة المقراني والحداد من خلال كتابات لوي رين Louis Rinn في ضوء المجلة الإفريقية

د عبد القادر. صحراوي
جامعة سيدي بلعباس

Abstract:

This study attempts to highlight the revolution Mokrani mourning and Sikh spiritual leader, the angle Rahmaniyah Dz French colonialism in 1870 in tribal area.The study also focused on Maketbh French historian RINN about this revolution and its causes and Ntaija through the African magazine.

Keywords:

Mokrani-Louis RINN- African journal- Sheikh Al-Haddad- 1870 revolution- French colonialism- Algeria

نتناول في هذا البحث مقاومة المقراني والشيخ الحداد من خلال كتابات لوي رين "L.Rinn" في المجلة الإفريقية، ونحن إذ اخترنا هذا الموضوع، فإننا نريد أن نبرز تحيز المؤرخين الفرنسيين عند معالجتهم قضايا تاريخ الجزائر عامة، وإصرارهم على تجريدها من أبطالها وروادها العظام. وكان لزاما علينا أن ندحض أباطيل هؤلاء المؤرخين، ودراسة تاريخ مقاومتنا المجيدة منذ بداية الاحتلال إلى تحقيق النصر والاستقلال. وقبل التعرض لدراسة رين "L.Rinn"، يجدر بنا التعريف بمقاومة المقراني والشيخ الحداد.

1. مقاومة المقراني والحداد وموقعها من تاريخ الجزائر:

ينسب معظم المؤرخين أسرة المقراني إلى السيدة فاطمة بنت الرسول-عليه الصلاة والسلام- ، ويذكرون أن أجدادها من قبائل عياض، هاجروا إلى اقليم المغرب في القرن 11م خلال قدوم الهلالين إلى منطقة، ليستقروا بجبال قلعة بني حماد في المعاضيد شمال مدينة المسيلة وجنوب شرق مدينة برج بوعريريج. وارتبط تاريخهم بالأمراء الحمادين، ثم انتقلت الأسرة عبر بعض مناطق هذه الجهة من الجزائر حتى اختارت قلعة بني عباس شمال غرب سهل مجانة داخل المنطقة الغربية على الضفة اليمنى لواد الساحل. وبعد مخاض وانقسام كبيرين داخل الأسرة عين الفرنسيون محمد المقراني باشاغا على مجانة إثر وفاة أبيه في حوالي سنة

1853م **(1)**. أما الشيخ الحداد فينتمي إلى الطريقة الرحمانية التي أسسها محمد بن عبد الرحمن الذي عاش فيما بين سنتي 1715 و1725م ، وتعتبر قرية بني منصور في جبال البيان موطنا أصليا لعائلة الحداد، ومن هذه القرية انتقل أفراد الأسرة إلى مختلف مناطق وقرى بلاد القبائل. وقد استقر أحد أفراد الأسرة بقرية صدوق على الضفة اليمنى لواد الصومام، وهناك ولد محمد أمزيان الحداد الذي أشرف فيما بعد على الزاوية الرحمانية التي قصدها الكثير من طلاب العلم والذين عرفوا بالاخوان الرحمانيين.

تحتل مقاوة المقراني والشيخ الحداد مكانة بارزة ضمن سلسلة المقاومات الشعبية والحركات الثورية الجزائرية وكان لعائلتي المقراني والحداد الدور الأساس في قيادة الثورة وحركات المقاومة الجزائرية،وتحمل تطوراتها وتبعاتها. ولقد كان للزاوية الرحمانية الدور الحاسم في كافة الأعمال القتالية لهذه الثورة الرائدة، فكانت بحق ثورة الإخوان الرحمانيين. كما كانت ثورة الجزائر كلها، تحت راية الجهاد من أجل الوطن ومن هنا، وإذا كان لابد للثورة من اطار شامل يضمنها، فيكفي وضعها في اطارها الزمني. وهي أيضا امتداد لأعمال المقاومة التي بدأها الشعب الجزائري منذ الأيام الأولى للغزو الاستعماري الفرنسي للجزائر، كمقاومة الأمير عبد القادر وأحمد باي، ومرورا بثورات لالا فاطمة نسومر وغيرها **(2)**.

إن ثورة المقراني والشيخ الحداد لم تكن إلا بداية لثورات لاحقة، اتصل بعضها ببعض فبقيت أرض الجزائر، أرض الأحرار وجزائر الإسلام والمسلمين، وهي تلتهب لتحرق أقدام المستعمرين، حتى آن أوان ثورة الفاتح نوفمبر من سنة 1954 والتي سارت بالجزائر إلى النصر العظيم واسترجاع الاستقلال. هذا وقد تناول العديد من المؤرخين هذه المقاومة من زوايا مختلفة، نحاول فيما يلي تسليط الضوء على ما كتبه لوي رين "L.Rinn" في المجلة الإفريقية من خلال مقالين في سنتي 1887 و1891.

2. لوي رين "L.Rinn" ومقاومة المقراني والشيخ الحداد من خلال المجلة الإفريقية:

اشتغل النقيب لوي رين " L.Rinn" رئيسا للمكتب العربي ببسكرة في الفترة من 07 جوان إلى 20 أكتوبر 1870، ثم في باتنة من 20 أكتوبر1870 إلى سبتمبر 1871، فساعدته هذه الوظيفة على أن يكون ذا صلة بأحداث الثورة. ثم عين مستشارا للحكومة العامة ونائبا لرئيس الجمعية التاريخية بالجزائر العاصمة، ورئيسا للمصلحة المركزية لشؤون الأهالي مما سمح له بالإطلاع أكثر على هذه الثورة **(3)**. ولهذا فان كتابه: "تاريخ ثورة 1871 بالجزائر" **(4)** ، الذي صدر في عام 1891م ، والمقالين **(5)** المذكورين في هذا البحث من أهم ما كتب عن المقاومة من

حيث الشمول وتتبع الأحداث. وقد اعتبر أن ثورة الحداد وإخوانه في 08 أفريل هي أهم وأخطر حدث في هذه الثورة، لأن إعلان الحداد للجهاد هو الذي دفع قسما كبيرا من سكان جرجرة والبابور وحوض الصومام إليها. وأن المقراني ما كان ليتحول "عصيانه" إلى ثورة عارمة لولا انقياد الإخوان الرحمانيين لنداء شيخهم، وحملهم للسلاح بصورة جماعية **(6)**.

ويصف لوي رين "L.Rinn" في مقاله الأول الباشاغا الحاج أحمد المقراني والد محمد بأنه سيد مجانة وبني عباس، تدعمه الزاوية الرحمانية ببلاد القبائل الممثلة في عزيز بن الشيخ الحداد. لم يكن هذا الأخير زعيما دينيا فحسب، ولكنه كان قائدا حقيقيا تمكن من فرض الانتفاضة بالقوة على القبائل، الذين تعرضت فئة المعارضين منهم إلى السطو والتقتيل بحكم أنهم لم يكونوا مسلمين متعصبين حسب رأي رين، فإنهم قاوموا هذه الحركة التي لم تكن حركة دينية فقط ولكنها كانت سياسية أيضا، مفضلين أي القبائل الخضوع لفرنسا بدل الإخوان الرحمانيين. ويذكر كذلك أنهم فرحوا بانتصار فرنسا وبسطها لسلطتها على البلاد، وانطلاقا من هذا نشر نص أغنيتين قبائليتين لمؤلف مجهول ترجمتا إلى الفرنسية هما محور المقال الأول الصادر في سنة 1887 ،وقد أرسلتا إلى الحاكم العام للجزائر في سنة 1872 **(7)**.

ويحتوي نص الأغنيتين على موضوع أساسي هو عبارة عن قذف وسب لشخصين رئيسيين في انتفاضة 1871 هما بومزراق والشيخ الحداد. ومن خلال ترجمة النص نلاحظ تطاولا على هذين البطلين، رغم اعتراف لوي رين "L.Rinn" بقيمة وشرف بومزراق الذي انهزم في عدة مواقع وفضل الإنسحاب جنوبا، إلى أن قبض عليه في 20 يناير 1872 بالقرب من ورقلة . ويعتبر رين بومزراق عدوا لفرنسا، إلا أنه يعترف بأنه كان محترما من الفرنسيين. ويشير أن الحداد الذي بلغ من العمر 80 سنة، كلف ابنة سي عزيز بالدعوة إلى الجهاد. وتمدح الأغنيتين القائد الفرنسي سوسي "Saussier" الذي قضى على ثورة الحداد ، هذا القائد الذي يشبه في نص الأغنية الثانية الرحمانيين بالدروز الذين عرف عنهم تزمتهم وتشبثهم بآرائهم حسب إدعاء لوي رين "L.Rinn" **(8)**.

ويعترف رين بأن المقاومة كانت عنيفة، فقد جرت عدة معارك، آخرها معركة تالة إيفاسن في 23 جوان 1871، والتي على إثرها استسلم الحداد إلى الجنرال الفرنسي لالمان "Lallemant" في 30 جوان من نفس السنة بعين بسام. ويشير المؤرخ إلى القبض على 600 أسير واستعادة 500 بندقية وتقديم حوالي 950 ألف فرنك إلى خزينة الدولة **(9)**.

ويتعرض لوي رين "L.Rinn" في المقال الثاني لهذه الثورة انطلاقا من وثيقتين أهليتين على حد تعبيره، سبق نشرها في كتابه حول تاريخ انتفاضة 1871 م . وتتمحور الوثيقة الأولى التي أرسلها يحي بن سعيد أعيان بلاد الميزاب إلى إخوانه المفاوضين في الجزائر حول الثورة. ويصف رين هذه الرسالة بالمهمة نظرا لعرض الأحداث بطريقة جيدة، كون يحي بن سعيد إباضيا معاديا للسنة. فكتبت من طرف إنسان ذكي صادق، يصف فيها أحداثا عايشها ، ولذلك فهي لا تحتمل في نظره أي تعليق. ويتعلق الأمر بقدوم الشريف بوشوشة إلى بلاد الميزاب في سبتمبر 1871، الذي يعتبره صاحب الرسالة عنصرا مشوشا، ومن ثم اعتبر رين هذه الوثيقة ذات قيمة تاريخية وسياسة كبيرة **(10)**.

أما الوثيقة الثانية فتعود إلى سنة 1872، يدلي من خلالها فلاح من قبائل بني عباس عن حسن نية برأيه في انتفاضة 1871 لأحد المخبرين الفرنسيين من دون أن يدرك نواياه، وهو نفس التصريح الذي ذكر في السنة الموالية من طرف الشهود المتأثرين بالطريقة الرحمانية أمام القضاء الفرنسي. وتحتوي هذه الوثيقة على وصف لدور المقراني والحداد في ثورة 1871. ويذكر رين أن شهادة هذا الفلاح مستوحاة من أحد أعضاء الزاوية الرحمانية، مما يستوجب حسب رأيه التدقيق فيها، إلا أنه يذكر أن الباشاغا المقراني هو بحق سيدا وقائدا معتزا بنفسه، وهذه في رأينا عزة الإسلام. وقد راسل العديد من الشخصيات كالحداد ويحي بن عيسى باشاغا التيطري وغيرهم لحثهم على الانضمام إلى الثورة. ويعتبر رين حكم هذا الفلاح على أحداث الانتفاضة رغم عدم فهمه لها وثيقة إنسانية مهمة، ويؤكد أن استعمال المعلومات السياسية والتاريخية المقدمة من طرف الأهالي ، ينم عن تبصر كبير **(11)**.

3. ملاحظات حول كتابات لوي رين "L.Rinn" ومنهج الفرنسيين في كتابة تاريخ الجزائر:

نلاحظ من خلال عرضنا لمحتوى مقالي رين في المجلة الإفريقية الكثير من المغالطات التاريخية، سعيا إلى الحط من قيمة هذه الثورة العظيمة بقيادة محمد المقراني ، وتتمثل مشكلة رين في كونه أرخ لهذه الثورة من خلال التأريخ لجهود الجيش الفرنسي ضدها، ولمواقف السياسة الفرنسية اتجاهها، وهذا ما جعله يكاد يطمس موضوع الثورة الحقيقي، وجهود زعمائها، ما عدا الذين فرضوا أنفسهم على الحوادث فرضا. ومع ذلك بذل جهده ليجعل الحديث عنهم هامشيا وبالتبعية فقط للحديث والتأريخ لنشاط الجيش الفرنسي الذي تصدى لمقاومة حركتهم **(12)**.

إن طريقة عرض لوي رين "L.Rinn" للثورة من خلال المقالين ، لا تخرج عن منهج الفرنسيين في كتابه تاريخ الجزائر المبنية على التشويه والإساءة إلى الجزائر والجزائريين، باستغلال وثيقة كتلك التي تضمنها المقال الأول والتي لا تعزو أن تكون قد كتبت من طرف أحد الحاقدين على هذه الثورة وأبطالها، أو تلك الشهادة التي أدلى بها فلاح من بني عباس لأحد المخبرين الفرنسيين. هذا ويرجع المؤرخون الفرنسيون شدة مقاومة الجزائريين للاحتلال الفرنسي لا إلى الروح الوطنية ،وإنّما لضيق الأفق والتعصب الديني، ونفس الموقف وقفه هؤلاء من زعماء المقاومة الوطنية، فلا الحاج أحمد ولا محمد المقراني ولا الحداد، إلى جانب عظماء آخرين، قد وجد من هؤلاء دارسا نزيها، دون الارتباط المسبق بخدمة المصلحة الاستعمارية، ذلك أن الهدف البعيد لهؤلاء المؤرخين ومنهم لوي رين "L.Rinn" هو تجريد الجزائريين من أبطالهم، كما حاولوا تجريدهم من اسلامهم الحق، واتهامهم بالإيمان باسلام جزائري هو أقرب إلى الخرافة منه إلى العقيدة الراسخة الواعية **(13)**.

وكم يعاني الباحث عندما يحاول أن يتعرف من هؤلاء المؤرخين على جهود المقراني، أو الحداد أو بومزراق، هذا فضلا عن الأحكام التي أصدروها على ثورة 1871 وقادتها **(14)**. ولعل النقطة السلبية الرئيسية عند المؤرخين الفرنسيين هي إهمالهم للشعب الجزائري في تناولهم لتاريخ الجزائر، فليس هناك في نظرهم "شعب" أو "أمة" أو "كيان" و "مجتمع متماسك" ، إنما هناك قبائل متنافرة متنابزة تخوض حروبا مستمرة، ولا تخضعها إلا القوى الغازية كالرومان والأتراك والفرنسيين .هذه هي "فلسفة" الفرنسيين في كتابتهم تاريخ الجزائر وهم لم يطبقوا هذه النظرية على عهدهم الذي بدأ في سنة 1830، ولكن على جميع عهود تاريخ الجزائر تبريرا لوجودهم **(15)**.

وعلى الرغم من الآثار السياسية والإدارية والاقتصادية لثورة 1871 والتي تصب كلها في محاولة الفرنسيين إبادة الشعب الجزائري، وإرساء قواعد الاحتلال والاستعمار، فانها أي الثورة غنية بمعطياتها، وأحداثها ووقائعها وشموليتها لمختلف مناطق التراب الجزائري **(16)**. كما رسمت مع مقاومات وثورات أخرى طريق المستقبل أمام الجزائريين للتخلص من الاستعمار الفرنسي وبناء صرح دولة حديثة مواكبة للتطورات الحضارية العالمية.

الهوامش:

يحي بوعزيز، ثورة 1871(دور عائلتي المقراني والحداد) ، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1978،ص43-58.

نفسه، ص67-80.

نفسه،ص397.

4-Rinn(L), Histoire de l' insurrection de 1871en Algérie , Alger, imp . Jourdan, 1891.

5-Rinn(L), Deux chansons Kabyles sur l'insurrection de 1871,R.a.f,1887,pp.55-71 ; Deux documents indigènes sur l'histoire de l'insurrection de 1871,R.a.f,1891,pp.21-37.

6- Rinn(L), Deux chansons ...,op.cit.,p.55.

7-Ibid,p.55.

8-Ibid,pp.59-60,67.

9-Ibid,p.67.

10- Rinn(L), Deux documents ...,op.cit,p.21.

11-Ibid,pp.21-22,30 ;

يحي بوعزيز، كفاح الجزائر من خلال الوثائق ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1986،ص.328.

12- يحي بوعزيز،ثورة 1871...،المرجع السابق،ص.397.

13-أبو القاسم سعدالله،أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1978، ص.29-34.

14- يحي بوعزيز، المرجع السابق،ص.397.

15- أبو القاسم سعدالله، المرجع السابق،ص.36.

16-Gaid(Mouloud),Mokrani,Alger,editions Andalouses,1993,p.10.